﴿وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُوا۟ خَٰلِدِينَ ﴿٨﴾ ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾﴾

[الأنبياء:8 - 9]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَيْنِ لِما قَبْلَهُما:

الانتقالُ منَ الرَّدِّ على الطُّعونِ إلى تقريرِها وتوكيدِها

لمّا ردَّتِ الآياتُ السّابقةُ على مطاعنِ المشركين، وأرشدت إلى معرفة ذلك بالدّليل القويم؛ أتبعتْهُ بيانًا نافيًا لمعانٍ متّفقٍ عليها منَ الأكل والشُّرب والتّناسل وعدمِ الخلود، وأنّهم موعودون بالإنجاءِ وإهلاكِ المُسْرفين، وهذا لا يكون إلّا للبشر، وكلُّ ذلك جاء تقريرًا وتوكيدًا لِما سبقَ بيانُه، فهو انتقالٌ منَ الرَّدِّ على الطُّعون، إلى تقريرها وتوكيدِها.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿جَسَدًا﴾: (جسد) أصلٌ يدلُّ على تجمُّع الشّيء واشتدادِه، من ذلك جَسَدُ الإنسان، والمَجْسَدُ: الذي يلي الجَسَدَ منَ الثّياب[1]، والجَسَدُ: الجِسمُ الذي لا حياةَ فيه، وهو يرادفُ الجُثَّةَ، هذا قولُ المُحقّقين من أئمّة اللّغة[2]، فهو أخصُّ منَ الجسم، باعتبار أنّ الجسم كلُّ شكل أو صورة، لإنسان أو حيوانٍ أو جمادٍ، بخلاف الجسدِ فيشملُ جسدَ الإنسان خصوصًا، وقولُه تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ﴾ أي: أجسامًا تستغني عنِ الطّعام، وقد يُرادُ به هنا الهياكلَ التي لا روحَ فيها، ولا حياة، ومن ثَمّ لا يتغذّى ولا يحتاجُ للغذاء كالملائكة[3].

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (جسد).
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 19.
(3) الفيروزابادي، بصائر ذوي التّمييز: 2/ 382، والسّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ: (جسد).

2) ﴿خَٰلِدِينَ﴾: (خلد) أصلٌ واحدٌ، يدلُّ على الثّبات والمُلازمة[1]، يقال: خلد: إذا أقام، وأخلد أيضًا، ومنه: جنّةُ الخُلْد، ويقولون: رجل مُخَلَّدٌ ومُخَلِّد: إذا أبطأ عنه المَشيبُ؛ لأنَّ الشّباب قد لازمه، ولازم هو الشّبابَ، ويقال أخلد إلى الأرض: إذا لَصِق بها، وأخلد إلى غيره: ركنَ إليه واطمأن، والخُلْد، والخُلُود: البقاءُ الأبديُّ، الذي لا نهاية له، وقد يُراد به المُكْثُ الطّويلُ[2].

3) ﴿ٱلْوَعْدَ﴾: مصدرٌ منَ الفعل: وعدَ يَعِدُ، يُستعملُ في الخير والشّرِّ، يقال: وعدتُه خيرًا ووعدتُه شَرًّا، فيشمل ما وعد اللّهُ أنبياءَه من خيرٍ ونجاةٍ، وما وعدَ به أعداءَه من شَرّ وهَلاك، ولكن الوعدُ غلبَ في الخير، والوعيدُ لا يكون إلّا بِشَرٍّ، وأرضٌ واعدة، إذا رُجيَ خيرُها منَ الخِصْبِ والإعشاب، ويومٌ واعِدٌ: أوّلُه يَعِدُ بِحَرٍّ أو بَرْدٍ، والمواعدةُ: أخذُ الميعاد، ويُجمع الوعدُ على وعود، ومنَ الوعد بالخير قولُه تعالى: ﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا﴾ [الفتح: 20]، ومنَ الوعد بالشّرِّ قولُه تعالى: ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [الأنعام: 134][3].

4) ﴿ٱلْمُسْرِفِينَ﴾: جمعُ مسرفٍ، اسمُ فاعلٍ من (أسرف)، والسَّرفُ: تجاوزُ الحَدِّ في كلّ فعلٍ يفعلُه الإنسان، وإن كان في الإنفاق أشهرَ، ويقابلُه التّقتيرُ، وسَرَفتِ المرأةُ ولدَها: أفسدَتْهُ بكثرة اللّبن، وذهب ماءُ البئر سَرَفًا: ضَيْعَةً، والسُّرْفَة: دُوَيْبَةٌ سوداءُ تأكلُ بِشَرَهٍ، وأسرف رجلٌ على نفسه: أي أخطأ وجَهِل وتجاوز الحَدَّ في ذلك، والإسرافُ: نقيضُ الاقتصاد، وهو مجاوزةُ الحَدّ في كلّ شيء، والإفراطُ فيه[4].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

تُقرِّرُ الآيتان ما سبق ذِكْرُه من كونِ الرُّسلِ بشرًا أرسلهمُ اللّهُ تعالى لغاية هدايةِ الخَلْق، فجاء فيهما توكيدُ ما سبق وتقريرُه، وهو أنَّ النّاظرَ في شأنِ الرُّسلِ ﷺ يجدُ أنَّ اللّه تعالى ما صيّرهم هياكلَ لا تنبُض بالحياة، ولا تفتقرُ للزّاد، بل جعلَهم - كغيرهم من البشر -

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (خلد).
(2) أبو عبيد، الغريبين في القرآن والحديث، والفيوميّ، المصباح المنير، والسّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ: (خلد).
(3) الجوهريّ، الصّحاح، وابن فارس، مجمل اللّغة، ومقاييس اللّغة، والسّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ: (وعد).
(4) الخليل، العين، وابن عبّاد، المحيط في اللّغة، والزّمخشريّ، أساس البلاغة: (سرف).

أجسادًا مُفْعَمةً بالحياة، يأكلون ويشربون، وتجري عليهم سُنَنُها، من مرضٍ وصِحّةٍ، وفقرٍ وغنًى، وزواجٍ وإنجاب، إلى أن يتجرّعوا كأسَ المَنيّة، ثمّ إنَّ اللّه تعالى لا يتوفّاهم حتّى يحقّقَ لهم ما وعدَهم، فينصرَهم على أعدائهم، ويُنجّيَهم مِن شرورهم وظُلْمِهم، ويُهْلِكَ المسرفين، فالإنجاءُ منَ اللّه تعالى لا منهم، ولو لم يكونوا بشرًا كبقيّة البشر؛ لانتصروا لأنفسهم، ولنَجَوا بذَواتهم على الظّالمين.

الرُّسلُ ما هم إلّا بشرٌ تجري عليهم سُنَنُ الله تعالى منَ الإرسال إلى الوفاةِ

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

معنى الواو ودلالتُها:

الواو في قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ﴾ حرفُ عطفٍ، من عطْفِ الجُمَل على الجُمَل، فلمّا قال في الآيتين السّابقتين: ﴿مَآ ءَامَنَتْ﴾، ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا﴾، قال هنا: ﴿وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ﴾، فهذه الآيات الثّلاثُ المتعاقبةُ تَنفي ما ادّعاه الكفّارُ، وما دَعَوا إليه من مطالبَ تَنُمُّ عن لجاجِهم وعنادِهم.

توالي الرُّدودِ في بيانِ المعقولِ دليلُ لَجاجةِ المُعانِد

فائدةُ اختيارِ (ما) النّافيةِ:

(ما) في قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ﴾ نافيةٌ، دخلت على الفعل الماضي فأبقتْهُ على مُضيِّه، والمعنى: نفيُ كونِهم هياكلَ بلا روح، لا تحتاجُ لطعام، ولا تتغيّرُ ولا تفنَى، ونُكْتَةُ اختيارِ هذه الأداة عمومُ النَّفي الدّاخلِ على جعْلهم جسدًا، أي: ما جعلناهم أصلًا جسدًا، وما صاروا جسدًا، ولن يكونوا جسدًا.

إثباتُ عمومِ نفْيِ الجسديّةِ في جميعِ الأحوالِ

براعةُ التَّعبيرِ بالجَعْل دونَ الخَلْق:

اختار النَّظمُ الكريمُ الجَعْلَ في قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ﴾ دونَ الخَلْق، فلم يُقَل: (وما خلقناهم جسدًا)، والجعلُ هنا أخذَ مفعولَين؛ وهما الضَّميرُ و﴿جَسَدًا﴾، وهو بمعنى التَّصيير، وليس المقصودُ بنفي جَعْلِهم جَسَدًا بعد أن لم يكونوا كذلك - وهو المشهورُ من معنى التّصيير - ، بل بمعنى جَعْلِه كذلك

المنفيُّ هو التّصييرُ الذي تخيَّلَهُ المشركون للرُّسلِ لا أصلَ الخَلْق

ابتداءً، على طريقة قولهم: سبحانَ من صغَّر البعوضَ، وكبَّر الفيلَ، وهي كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ [الإسراء: 12]، وإمّا أن يكون ﴿جَسَدًا﴾ حالاً منَ الضّمير، والجعلُ إبداعيٌّ[1]، أي: أنّ الله تعالى لم يخلقْهم هكذا ابتداءً.

والتَّعبيرُ بالجَعْل أدقُّ منَ التَّعبير بمُفردة الخَلْق في هذا السّياق؛ ذلك أنَّ الله تعالى خلق الرّسلَ وهم منَ البشر، فجرى عليهم ما جرَى على جميع البشرِ، والمشركون تصوّروا شيئًا كان للرُّسل بعد الخَلْقِ العامِّ، وهو ما ينطبقُ عليه الجعلُ بعدَ الخَلْق لا الخَلْقُ، أي: أنَّ الله تعالى لم يخصَّهم بشيءٍ، فإنَّ هذا المُتصوَّرَ وهْمًا هو المدفوعُ في الآية، ولذلك وقع النَّفيُ على الجعل المُتوهَّم، لا على أصل الخَلْق.

إسنادُ فعلِ الجَعلِ إلى الضّمير للتعظيم

وأُسند فعل الجعلِ ﴿جَعَلْنَٰهُمْ﴾ إلى ضمير العظمةِ، لغرضِ التَّعظيم، فإنَّ نفيَ هذا الجعل يدلُّ على حكمة الله تعالى العظيمةِ، وعِلْمِه الواسعِ بما يَصْلُح للعبادِ من إرسال الرُّسل.

نُكْتَةُ التّعبيرِ بالجسد، وتنكيرِه:

الجَسَدُ ما يعرفه النّاسُ بخُلُوِّه منَ الحياة المُعتادةِ

المقصودُ بالجسد ما لا يأكل ولا يشربُ، فهم من جميع الوجوه كسائر بني آدمَ إلّا في رُتبة النّبوّة، وشَرفِ المَنزلةِ[2]، وفي الأصل مصدرٌ سُمّي به، ولهذا لم يُجْمَع، فإفرادُ الجسد لأنّه بمنزلة المصدرِ المُشتقّ منَ الفعل: جَسَدَ[3]، والتّقديرُ: ذوي جسدٍ[4]، وقيل: لإرادة الجنس، كَأَنَّهُ قال: ذوي ضَرْبٍ من الأجسادِ[5]، أو على حذف المضاف، أو تأويلِ الضّمير بكلّ واحد[6]، والتَّعبيرُ بهذه المفردة جاء لبيان ما يعرفُه النّاسُ من مفهومِ الجَسَدِ بخلوِّه منَ الحياة المعتادة

(1) السّمين الحلبيّ، الدّرّ المصون: 8/ 135، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 57.
(2) الكرمانيّ، لبابُ التّفاسير، ص: 1477.
(3) الفرّاء، معاني القرآن: 2/ 199.
(4) مكّيّ، الهداية إلى بلوغ النهاية: 7/ 4732، وينظر: ابن جرير، جامع البيان: 16/ 230.
(5) الفخر الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 22/ 122، وينظر: ابن عادل، اللّباب في علوم الكتاب: 13/ 454.
(6) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 4/ 46.

لبقيَّة النّاس، ونُكِّر ﴿جَسَدًا﴾؛ ليُفيدَ العمومَ، وليَشْمَلَ كلَّ جسدٍ، فالنَّكرةُ في سياق النّفي تُفيد العمومَ، أي: (ما جعلناهم يستغنون عنِ الغذاء، ولا يُستثنَونَ منَ الفناء، بل يأكلون ويشربون، ولا يُخَلَّدون).

فائدة التقييد بالوصف:

نفيُ الصّفةِ دونَ الذّاتِ الموصوفةِ

جاء قولُه تعالى: ﴿لَّا يَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ﴾ صفةً للموصوف ﴿جَسَدًا﴾؛ ولذلك فُصِل، وهي إمّا أن تكون صفةً مقيِّدةً؛ فليس المقصودُ نفيَ كونِهم جَسَدًا، بل نفيَ كونِهم لا يأكلون الطعام، أي: نفيَ الصّفةِ لا الموصوفِ، "والعرب إذا جاءت بينَ الكلامَين بجُحْدَين؛ كان الكلام إخبارًا نحو: ﴿وَمَا جَعَلۡنَٰهُمۡ جَسَدٗا لَّا يَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ﴾، والمعنَى: إنّما جعلناهم جسدًا يأكلون الطّعام"[1]، فالمقصودُ نفيُ الصّفةِ دونَ الذّات الموصوفةِ.

نُكْتةُ ذِكْرِ المفعول ﴿ٱلطَّعَامَ﴾ وتعريفِه:

أثبتَ النَّظمُ للرُّسل الأكلَ والاحتياجَ للمأكولِ

التَّعريفُ في لفظ ﴿ٱلطَّعَامَ﴾ في قوله تعالى: ﴿لَّا يَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ﴾ للجنس؛ فيشملُ كلَّ طعام يُؤكلُ، فليس الكلامُ مُرادًا به طعامٌ بعينه، بلِ المُرادُ هو الاحتياجُ للطَّعام، وهذا سِرُّ ذِكْر المفعول، ولو قال: (لا يأكلون) بحذف المفعولِ على إثبات صفةِ الأكل لهم لصَحَّ المعنى، بل أُريد أمران؛ الأوَّل: الأكلُ، والآخرُ: الاحتياجُ للمَأكول، وذلك لا يكون إلّا بذِكْر المفعول، وهو الطَّعامُ.

بلاغةُ التَّعريض بعبادةِ المشركين:

الإلـهُ المَأكـولُ صحيحٌ في عقل المُشركِ، أمّا الرَّسولُ الآكلُ فمَدفوعٌ!!

في قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلۡنَٰهُمۡ جَسَدٗا لَّا يَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ﴾ تعريضٌ بالمشركين الذين عبدوا الأجساد، فأفاد التّبكيتَ عليهم من أنّهم عبدوا من لا يستحِقُّ العبوديَّةَ؛ لأنَّ الإله مُنزَّه عنِ الجسميّة والتّحيُّزِ[2].

(1) السّيوطيّ، الإتقان في علوم القرآن: 3/ 266، وينظر: الكفويّ، الكلّيّات، ص: 889.
(2) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 2/ 255.

معنَى الواو وفائدةُ العطفِ بينَ الجُمَل:

الرَّدُّ على الوهمِ البـاطـلِ من أغـراضِ عطفِ الـجُـمـلَـة على الجُملة

الواو في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانُواْ خَٰلِدِينَ﴾ للعطف؛ فكما نفَى أن يكونوا غيرَ آكلين للطَّعام نفَى خلودَهم، أي: كما أنَّهم يأكلون، فهم يموتون؛ فيَعتريهم ما يَعتري سائرَ البشرِ، وهو من زيادة الاستدلال؛ "لتحقيق بشريَّتِهم، استدلالًا بما هو واقعٌ من عدم كفاءَة أولئك الرّسلِ، كما هو معلومٌ بالمشاهدة؛ لقطع معاذيرِ الضّالين، فإن زعموا أن قد كان الرُّسلُ الأوَّلون مخالِفين للبَشَر؛ فماذا يصنعون في لحاق الفناءِ إيّاهم، فهذا وجه زيادة: ﴿وَمَا كَانُواْ خَٰلِدِينَ﴾"[1].

براعةُ النَّفي بأداة العُموم:

اعـتـقـادُ خـلـودِ الرُّسلِ وهمٌّ نشأ في أذهـانِ أهـلِ الأوثان

لمّا كان في ذِهْن بعضِ البَشرِ أنَّ الرُّسلَ لا تموت، ولهم مسالكُ في توجيه حياتِهم بعد دفنِهم؛ أراد اللّهُ تعالى نفيَ ذلك الاعتقادِ نفيًا عامًّا قاطعًا، فقال: ﴿وَمَا كَانُواْ خَٰلِدِينَ﴾.

نوعُ ﴿ثُمَّ﴾ ودلالتُها في السّياق:

أداة (ثم) تحتملُ التَّراخيَ الزَّمانيَّ والرُّتَبيَّ

حرفُ ﴿ثُمَّ﴾ في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ﴾ إمّا أن يكون من عطف الجُملة على الجُمَل السّابقة، فهي للتّرتيب الرُّتَبيّ، والمعنى: وأهمُّ ممّا ذُكِر أنّا صَدَقناهم الوعدَ؛ فأنجيناهم وأهلكنا الذين كَذَّبوهم[2]، وإمّا أن يكون منَ التّراخي الزّمنيِّ، فما بينَ إرسال الرّسلِ ووعدِهم للمؤمنين ووعيدِهم للكفّار من جهةٍ، وما بين تحقُّق الوعدِ أزمانٌ، "وأشار بأداة التّراخي إلى أنَّهم طال بلاؤُهم بهم وصبرُهم عليهم، ثمّ أحلّ بهم سطوتَه، وأراهم عَظَمَتَه"[3].

نُكْتَةُ إسنادِ الفعلِ إلى الضّمير في ﴿صَدَقْنَٰهُمُ﴾، وبيانُ مفعولَيْه:

تعظيمُ الوعدِ لعَظَمة الواعِدِ

أُسندَ فعلُ الصّدق إلى ضمير العَظَمة ﴿صَدَقْنَٰهُمُ﴾ لتعظيم الوعد؛ فهو صادرٌ عنِ العظيمِ سبحانه، أي: بعظمتنا وجلالِنا

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 19.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 20.
(3) البقاعيّ، نظم الدُّرَر: 12/ 392، وينظر: ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 4/ 75.

صَدَقناهم، وبقُدرتنا وحِكْمَتِنا ولُطْفِنا نجَّيناهم وأهلكنا عدوَّهم، وفعلُ (صدق) ممّا يتعدّى إلى مفعولَين؛ الأوّل: الضّميرُ المتّصلُ (هم)، العائدُ إلى الرُّسل ﷺ، والثّاني: ﴿ٱلْوَعْدَ﴾، أي: صدقناهم في الوعد، ونظيرُه: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ﴾ [آل عمران: 152][1].

معنَى التَّعريف في لفظِ ﴿ٱلْوَعْدَ﴾:

العهدُ الذّهنيُّ المقيّدُ هو ما يَعرفُه الرُّسُلُ الكرامُ معرفةً خاصَّةً

التّعريفُ في لفظ ﴿ٱلْوَعْدَ﴾ للعهد الذِّهنيّ، أي: المعهود، أي: ما وعدهمُ اللّهُ به سابقًا، أي: "أنجزنا ما وعدناهم به من النّصر والنّجاة والظّهورِ على الأعداء"[2]، فالوعدُ هنا بما يعلمُه كلُّ رسولٍ بخصوصِه، فهو عهد ذِهنيٌّ مقيَّدٌ، بما يعلمُه أولئك الرُّسُل وأتباعُهم.

معنَى الفاء التَّعقيبيَّةِ ودلالتُها:

الإنجاءُ نتيجةٌ حتميَّةٌ عن صدقِ الوعدِ

عُطِفَ قولُه تعالى: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُمْ﴾ على ﴿صَدَقْنَٰهُمُ﴾، وقد أفادتِ الفاءُ التّرتيبَ معَ التّعقيب، وهي من عطف المُفَصّل على المُجْمل[3]، أي: أنَّ فعلَ الصِّدقِ مجملٌ بيانُه، وتفصيلُه إنجاءٌ للمؤمنين، وإهلاكٌ للمسرفين، وأفادتِ الفاءُ أنَّ الإنجاءَ مسبّبٌ عن صدق الوعد.

نُكْتَةُ إسنادِ الفعل إلى ضمير العَظَمة:

أُسنِد فعلُ الإنجاءِ في قوله تعالى: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُمْ﴾ إلى ضمير العَظَمةِ؛ لبيانِ عَظَمةِ اللّه تعالى وقُدرتِه على إنجاء المُرسَلين وأتباعِهم.

معنَى الواو ودلالتُها في قوله: ﴿وَمَن نَّشَآءُ﴾:

الواو في قوله تعالى: ﴿وَمَن نَّشَآءُ﴾ عاطفةٌ؛ أي: أنجيناهم وأنجينا مَن نشاء، فأتباعُ الأنبياء يُلحقون بهم، وكذلك مَن شاء اللّه نجاتَه من هذا العذاب الذي يشملُ قُرى المُكَذّبين.

---

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 6/ 299، والعكبَريّ، التبيان: 2/ 122، وعضيمة، دراسات لأسلوب القرآن: 9/ 311.

(2) الطّبرسيّ، مجمع البيان: 7/ 1842.

(3) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 12/ 428، ودرويش، إعراب القرآن وبيانه: 6/ 287.

نُكْتَةُ استعمالِ (مَنْ) اسمًا موصولًا:

سُـنَّـةُ الإنـجـاء عـامَّـةٌ في أتباع الرُّسل جميعًا

(مَنْ) في قوله تعالى: ﴿وَمَن نَّشَآءُ﴾ اسمٌ موصولٌ بمعنى (الذين)، وهي في الأصل للعقلاء، والمُرادُ: من شاء اللّهُ نجاتَهم من أهلِ الإيمانِ أتباعِ الأنبياءِ، وآثَر النَّظمُ الكريمُ استعمالَها دونَ (الذين)؛ ليَعُمَّ كلَّ مَن أنجاه اللّهُ تعالى مِن أتباع الأنبياءِ جميعًا، دونَ أن يكون المرادُ قومًا بأعيانِهم، فهي تُؤَصِّلُ لسُنَّة الإنجاءِ الإلهيِّ لأتباعِ النَّبيّين.

نُكْتَةُ التّعبيرِ بفعلِ المشيئةِ:

مـشـيـئـةُ الـلـه هـدايـةَ الـعـبـادِ سابقةٌ لإنجائِهم من بأسِ العبيد

جاء التَّعبيرُ بفعل المشيئة مضارعًا صلةً للموصول في قوله تعالى: ﴿وَمَن نَّشَآءُ﴾، أي: مَن نشاء نجاتَه؛ للإشارة إلى أنّ "سببَ الإنجاء المشيئةُ، لا أنّ التّصديقَ موجبٌ له؛ لأنَّه لا يجبُ عليه ﷻ شيءٌ"[1]، و"للإشارة إلى أنَّهم آمنوا؛ لأنّ اللّه تعالى شاء لهم الإيمانَ، وكلُّ شيء في محيط مشيئته وإرادتِه، فلا يقعُ شيءٌ إلّا إذا تعلّقت به مشيئةُ اللّه، ولا يخرجُ شيءٌ في الوجود عن إرادته"[2].

فنُّ الاحتباك:

الـرّجـاءُ منعقدٌ في وعْـد الـلـه تعالى

جمع ابنُ عاشور - رحمه اللّه - بين كون فعلِ ﴿نَّشَآءُ﴾ حكايةَ حالٍ ماضية، وبينَ الإيماءِ إلى إنجاء المؤمنين من هذه الأُمَّةِ؛ بالقول بالاحتباك، "والتّقديرُ: (فأنجيناهم ومَن شئنا، ونُنَجّي رسولَنا ومَن نشاء منكم)، وهو تأميلٌ لهم أن يُؤمنوا؛ لأنَّ منَ المكذبين يومَ نزولِ هذه الآية مَن آمنوا فيما بعدُ إلى يوم فتح مكّةَ"[3].

معنَى الواو في ﴿وَأَهْلَكْنَا﴾:

الواو في قوله تعالى: ﴿وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ للعطف، عُطِفَ فعلُ الإهلاك على الإنجاءِ، وهو منَ التَّقابلِ بين إنجاءِ المؤمنين وإهلاكِ الكافرين.

(1) البقاعيّ، نظم الدُّرَر: 12/ 392.
(2) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 9/ 4835.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 21.

نُكْتَةُ التّعبير بالفعل الماضي:

التّـعـريـضُ بالكافرين ممَّن يُـعـانـدُ دعـوةَ سيِّدِ المرسلين

جاء فعلُ ﴿وَأَهْلَكْنَا﴾ على صيغةِ الماضي، ومعنى ﴿وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ أي: "بعذابِ الاستئصال، وليس المرادُ عذابَ الآخرة؛ لأنّه إخبارٌ عمّا مضى وتقدَّم"(1)، وغرضُ ذِكْر الذين أُهْلِكُوا، "التّعريضُ بالتّهديد، والتّحذيرُ أن يصيبَهم مثلُ ما أصاب أولئك، مع عدم التّصريح بالوعيد"(2).

نُكْتَةُ إسنادِ فعلِ الإهلاك إلى الضّمير ﴿وَأَهْلَكْنَا﴾:

إهـلاكُ الظالمين من آثـارِ عَظَمةِ ربِّ العالمين

إسنادُ فعلِ الإهلاك إلى ضمير العَظَمة في ﴿وَأَهْلَكْنَا﴾ للتّهويل والتّعظيم؛ أي: إهلاكًا هائلًا - وهم في أوْجِ قوّتِهم، وعُنفوان سطوتِهم - ، أي: بقدرتِنا وعظمتِنا، ولا شَكَّ أنَّ إهلاكَ الكفّار وهم أصحابُ القُوّة والسّطوة، وأخذَهم وهم في عُنفوان قُوّتهم وذِرْوَةِ جبروتِهم، وتخليصَ عبادِ الله المؤمنين المستضعفين منهم، شاهدٌ من شواهد العَظَمةِ، ومَظهَرٌ من مظاهر القُدْرَةِ.

نُكْتَةُ بديعِ الطِّباق:

تـتـمـيـمُ وعْـدِ الصِّدق بالإهلاك كما الإنجاءُ

بين فعلِ الإنجاء، وفعلِ الإهلاك تقابلٌ بديعيٌّ، وهو الطّباق، ونُكْتَتُه في تتميم معنى صِدق الوَعْد، فاللهُ ﷻ صدقَ عبادَه في أمرين؛ وهما: إنجاؤهم، وإهلاكُ المُسرفين، وبه تمّت كلمةُ الله صِدقًا وعَدلًا.

فائدة تعريف لفظ ﴿ٱلْمُسْرِفِينَ﴾:

الإسرافُ إذا لازَمَ صاحبَه أهلكَه

التَّعريفُ في لفظ: ﴿ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ للاستغراق، فهي شاملةٌ لكلِّ مَن أسرف في كُفْره وغَيِّه؛ فيدخل كلُّ مَن عَلِم اللهُ تعالى أنَّ إسرافَه وصْفٌ لازمٌ لا ينفكُّ عنه(3).

(1) الفخر الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 22/ 123.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 21.
(3) البقاعيّ، نظم الدُّرَر: 12/ 392.

توجيهُ تخصيص الإسراف بالذِّكر:

اجتماعُ ألوان الكُفرِ في قومٍ إسرافٌ يُنادي عليهم بالهلاك

جاء التَّعبيرُ بمُفردةِ ﴿ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ دون (الكافرين) أوِ (المكذبين)؛ ليُسَجِّلَ عليهم اجتماعَ ألوانٍ منَ الكفر، فالسّرف: هو مُجاوزَةُ الحَدّ، وهم قد أسرفوا في كفرِهم وتمادَوا فيه، وأسرفوا في ظُلْمهم وفجورِهم، ومعاداتِهم للرُّسل وأتباعِهم، وتجاوزوا الحَدَّ في الظُّلم والبغي، فلمّا كذَّبوا المُرْسَلين كان كفرُهم مضاعَفًا، وهو الإسرافُ الذي أنزل اللّه تعالى بسببه عذابَ الإهلاكِ والاستئصال؛ فالمسرفون؛ هم "الكفّارُ المُفْرِطون في غَيِّهم وكفرهم، وكلُّ مَن ترك الإيمانَ مُفرِطٌ مُسْرِفٌ"[1]، وفي ذِكْر صفة المُهلَكين السّابقين بلفظِ ﴿ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ تعريضٌ بالمشركين، يتضمَّن الوعيدَ والتَّحذيرَ.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الجَسَدُ والجِسْمُ:

الجَسَدُ يشملُ الحَيَّ والهامِدَ، والجِسْمُ ما له صورةٌ

الجسدُ يكون للأحياء، بينما الجِسْمُ يشملُ كلَّ ما جُسّم من إنسان أو حيوانٍ أو جمادٍ أو نباتٍ، والجَسَد قد يكون نابضًا بالحياة، وقد يكون هامدًا لا حياةَ فيه، وهو الجُثَّةُ أوِ الجُثْمانُ، وقد يكون صورةً مُجَسّمةً لحيوان أو طائرٍ.

والجسمُ ما له شكلٌ ولونٌ وحَجْمٌ، سواءٌ كان صورةً لحيٍّ أو لجمادٍ، وقد ذُكِرَ الجسمُ في القرآن في عدّة مواضعَ، مُفردًا وجمعًا، قال تعالى: ﴿*وَإِذَا رَأَيۡتَهُمۡ تُعۡجِبُكَ أَجۡسَامُهُمۡۖ﴾ [المنافقون: 4] ولم يقل: أجسادُهم، إذِ المُرادُ التّنويهُ بجمال الصّورة مع قُبْحِ الباطن، وكذلك يُذكرُ الجِسْم عند الكلام عن قُوّة البدنِ وضَعْفِه، ومنه قولُه تعالى: ﴿وَزَادَهُۥ بَسۡطَةٗ فِي ٱلۡعِلۡمِ وَٱلۡجِسۡمِۖ﴾ [البقرة: 247]، ولذا قالوا في الحِكْمَة: "العقلُ السّليمُ في الجسم السّليم"، فإذا مات الإنسانُ يقال عن جسده جُثّةٌ، وجُثمانٌ.

(1) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 4/ 75.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث والثلاثون،
سورة طه من الآية 132 إلى سورة الأنبياء الآية 88
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثالث والثلاثون، سورة طه من الآية 132 إلى سورة الأنبياء الآية 88
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 33 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-75-4
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 33 : المجلد الثالث والثلاثون، سورة طه من الآية 132 إلى سورة الأنبياء الآية 88.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-75-4
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1130605 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»